

الكِبَر من أكبر الأسباب في رد الحق

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وأشهد أن لا إله إلا

الله وحده لا شريك له وبعد :

إنما نحن بشر نخطئ ونصيب، نتذكر وننسى ، يعتزينا النقص من كل جانب فليس لنا الكمال المطلق ، ومن ذا الذي يدعي ذلك وأنا له ذلك ، نخطئ في حق أنفسنا فنظلمها بالمعاصي والآثام ونخطئ في حق ربنا جلّ جلاله إذا صرفنا شيئاً مما اختص الله به من أنواع العبادة لغيره سبحانه، ونخطئ في حق غيرنا بسلب شيء من حقوقه أو بالتعدي عليه بقصد أو بغيره ، ويخطئ العالم وطالب العلم في مسألة يذكرها أو حكم ينقله لا قصداً وإنما غفلةً و سهواً ، وذلك أن كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون كما أخبر بذلك من قال في حق نفسه لما سهى في صلاته فأنقص منها ركعتين " إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني . رواه البخاري ومسلم .

هذا هو الرسول صلى الله عليه وسلم يقبل الحق من غيره ويرجع إليه بعد أن ثبت لديه نقصان الصلاة فكبر وزاد ركعتين اللتين أنقصهما وسجد للسهو بعد ذلك .

فالخطأ ليس عيباً لكن العيب أن لا تقبل الحق وتصرّ على الباطل وتعاود وتخاصم في ذلك أيما خصومة ، وتبحث عن المبررات لباطلك وتصر وتتعمد الخطأ وهذا ما خشيه صلى الله عليه وسلم على هذه الأمة

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم التعمّد. **صححه الألباني في "الصحيحة" (2216).**

وفي مقابل ذلك تجد الصغير يصيب الحق ويخطيء الكبير ويصيب الفقير ومن لامكانة له ويخطيء صاحب الشرف والجاه والسلطان، يصيب المتعلم ويخطيء المعلم و يخطيء إمام المسجد ويصيب غيره وهكذا هلما جرا، يصيب المفضول ويخطيء الفاضل .

لكن ينقسم الناس بعد ذلك :

إلى رجّاع للحق معتذر عن خطأه تائب منه مستغفر وصنف آخر من الناس مصر على خطأه مستكبر عن الرجوع إليه خاصة إذا جاءه ممن هو دونه في المكانة وهذا الصنف والعياذ بالله متوعد بوعيد شديد إذا رد الحق لكبر في قلبه والكبر من أكبر الأسباب في رد الحق .

فقد روى الإمام مسلم -رحمه الله تعالى- في صحيحه عن عبد الله بن مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"**، قال رجل: **إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال: "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس"**.

بطر الحق أي رده تعنتا وتجبرا وترفعاً، وغمط الناس أي إحتقارهم وإزدراءهم لما يرى من نفسه من مكانة وعجب ونحو ذلك .

قال ابن القيم رحمه الله . " التواضع: أن يتواضع العبد لصولة الحق.

يعني: أن يتلقى سلطان الحق بالخضوع له، والذل، والانقياد، والدخول تحت رقه. بحيث يكون الحق متصرفا فيه تصرف المالك في مملوكه. فبهذا يحصل للعبد خلق التواضع. ولهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الكبر بضده. فقال «الكبر بטר الحق، وغمص الناس» ، فبطر الحق: رده وجحده، والدفع في صدره. كدفع الصائل. وغمص الناس: احتقارهم وازدراؤهم. ومتى احتقرهم وازدراهم: دفع حقوقهم. وجحدها، واستهان بها ولما كان لصاحب الحق مقال وصوله: كانت النفوس المتكبرة لا تقر له بالصوله على تلك الصولة التي فيها، ولا سيما النفوس المبطلة. فتصول على صولة الحق بكبرها وباطلها. فكان حقيقة التواضع: خضوع العبد لصوله الحق، وانقياده لها. فلا يقابلها بصولته عليه " **مدارج السالكين بين** . **منازل إياك نعبد وإياك نستعين**

سئل الفضيل بن عياض -رحمه الله- عن التواضع فقال: يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله "

أي ولو كان من صغير نحو كبير، ولو كان من فقير نحو غني، ولو كان من متعلم نحو معلم ومن زوجة نحو زوجها ومن ابن و بنت نحو أبيه أو أمها . فانظرو يارعاكم الله كيف فسر أئمة الإسلام الكبر برد الحق وعد قبوله والتواضع بالاذعان لصوله الحق .

هذا ويخشى على من يرد الحق أن لا يوفق للصواب ولا يهتدي إليه بعد ذلك وهذه عقوبة معجلة والعياذ بالله قال تعالى (**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ**

سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ)

قال السعدي - رحمه الله - في تفسيره

{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ} أي: عن الاعتبار في الآيات الأفقية والنفسية، والفهم لآيات الكتاب {الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} أي: يتكبرون على عباد الله وعلى الحق، وعلى من جاء به، فمن كان بهذه الصفة، حرمه الله خيرا كثيرا وخذله، ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به، بل ربما انقلبت عليه الحقائق، واستحسن القبيح.

وعلى من يبلغ الحق لغيره ويريه خطأه أن يتلطف في ذلك وأن يتأدب بأدب النصيحة فيكون مخلصا لله في بيان الخطأ راجياً رجوعه للصواب يفرح بعودته ولا يشمت به شماتة العدو بعدوه ، وإذا سمع بالخطأ لم يُفْرِحه أو يعلنه ويشيعه بل يبادر إلى الإصلاح ، والقلوب بين يدي الرحمان يعلم سرها وعلايتها ويعلم المفسد من المصلح نسأل الله جل وعلى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه ورحم الله عبدا اهدى الينا عيوننا .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك واتوب إليك .

كتبه اخوكم : أبو محمد حسين

23 شوال 1438هـ